# صفحات من تاريخ اللغة العربية في شمال إفريقيا : مكانة اللغة العربية داخل المنظومة التربوية المغربية قديما وحديثا

د. إبراهيم أحمد أبو الصواب و د. إلهام كيساني

**لا شك أن المدرسة هي واحدة من أهم المؤسسات التي تصنع المجتمع، فمنها يتخرّج القادة والعلماء، ومنها تتخرّج الأجيال التي تصنع الحضارة. أما لغة المدرسة فهي الوسيلة التواصلية التي يتمّ بها كل ذلك، وهي التي تصبح لغة الدولة والسياسة، ولغة العلم والحضارة، وهي اللغة القادرة على توحيد رؤية الإنسان من أجل بلورة الواقع وصناعة المستقبل.**

**وتساهم المؤسسات التعليمية جنبا إلى جنب مع اللغة المستعملة فيها في صناعة التاريخ الاجتماعي للحضارة الإنسانية التي يطورها الإنسان باستعمال تلك اللغة تعليما وتعلّما وتواصلا وتدوينا وكتابة وتأليفا. فاللغة هي التي تصنع الجغرافية الثقافية كما تشير إلى ذلك كثير من الدراسات المتخصصة في هذا المجال (Seymour،١٩٩٧). ومن هذه الناحية، فإن اللغة العربية هي اللغة التي صنعت حضارة شمال إفريقيا، لاسيما وأن هذه اللغة هي لغة المدرسة ولغة التعليم في هذه المنطقة منذ أكثر من ألف سنة.**

دخلت اللغة العربية إلى الجزء الغربي من شمال إفريقيا عبر بوابة القيروان سنة ٥٠ هـ/ ٦٧٠م (١)، ثم بعد ذلك عبر مؤسسات تربوية أخرى في المدُن التالية: تونس (٧٩هـ/ ٦٩٨م)، سجلماسة في المغرب (١٤٠هـ/ ٧٥٧م)، تيهرت أو تاهرت بالجزائر(١٤٨هـ/٧٦٥م)، فاس في المغرب (١٧٢هـ/٧٨٩م)، وأخيرا عبر بوابة كثير من المؤسسات العلمية والمساجد المنتشرة في كل مكان في بلاد المغرب والأندلس (٢). ويذكر ابن خلدون (ابن خلون، المقدمة، ص ٤١٣) أن القيروان وقرطبة هما حاضرتا المغرب والأندلس في عهده " كان فيهما للعلوم والصنائع أسواق نافقة وبحور زاخرة" مضيفا لهما مدينة مراكش في المغرب، لكن بشكل أقلّ. كل هذا يدل على أن الشعوب المغاربية قد استقبلت اللغة العربية وعلومها، خلال الأزمنة الطويلة للتاريخ الإسلامي، بحرارة ومحبة باعتبارها لغة القرآن الكريم، واللسانَ الناطق باسم الإسلام، واللغة الوحيدة القادرة على توحيد الشعوب الإسلامية في المنطقة، وتوجيههم نحو بناء الصرح الحضاري لما يُسمّى لاحقا بالحضارة العربية الإسلامية في الغرب الإسلامي. ومنذ ما يزيد على ثلاثة عشر قرنا وهذه اللغة تقدّم خدمات حضارية لشعوب هذه المنطقة، حيث كانت لغة التدريس، ولغة العلم والتأليف، ولغة التواصل السياسي والثقافي، واللغة الموحِّدة للجميع بدون منازع.

وبالنسبة للمغرب الأقصى فإن تاريخ اللغة العربية في المدرسة المغربية يبتدئ بشكل رسمي منذ تأسيس جامعة القرويين سنة ٢٤٥ هـ الموافق لعام ٨٥٩ م. وقد انتشرت اللغة العربية في المؤسسات التعليمية المغربية قبل هذا التاريخ بكثير (٣)، غير أن جامعة القرويين ستلعب دورا مهما في نشر اللغة العربية، وتطوير علومها، وتكوين أساتذتها، وتطوير البحث العلمي المرتبط بها، وتوجيه الشعب المغربي نحو دراسة هذه اللغة، وإحراز أعلى المراتب في تعليمها.

ومنذ هذا التاريخ إلى يومنا هذا، أي نهاية العقد الثاني من القرن الواحد والعشرين، مرّ تاريخ اللغة العربية في المدرسة المغربية بأربع مراحل سنشير إليها باختصار، قبل تناولها بتفصيل بين ثنايا المقال. وهذه المراحل هي:

١. أحادية اللغة منذ بداية الإسلام، كانت اللغةُ العربية، في هذه المرحلة، اللغةَ الوحيدةَ في تاريخ المدرسة المغربية. وتبتدئ هذه المرحلة بعد استقرار الإسلام في المغرب، وانتشار الأفواج

الأولى من المتخرّجين في جامعة القرويين، أولئك الذين ساهموا في توسيع خريطة اللغة العربية في كل المؤسسات التربوية المنتشرة في المغرب، وقد انتهت المرحلة بدخول المستعمر الفرنسي والسيطرة على الدولة المغربية سنة ١٩١٢م.

٢. ثنائة اللغة في فترة الاحتلال الفرنسي: وهي المرحلة التي بدأت سنة ١٩١٢م، تاريخ بداية الحماية الفرنسية في المغرب، ثم انتهت سنة ١٩٥٦م تاريخ استقلال المغرب. وخلال ما يقارب أربعة عقود ونيّف من الزمان كانت المدرسة المغربية تعتمد اللغتين الفرنسية والعربية، مع إعطاء الدور الرئيسي للغة الفرنسية لغة المستعمِر، وتهميش اللغة العربية، وأحيانا استبدالها باللغة الأمازيغية في بعض المناطق الأمازيغية. وتُعتبَر اللغة الإسبانية أيضا لغةَ المدرسة في مناطق الاحتلال الإسباني في الشمال والجنوب. هذا فيما يخص المدرسة الرسمية، لكن هناك مدارس أخرى شعبية يسيّرها الشعب المغربي على غرار جامعة القرويين، تعتمد اللغة العربية فقط ، مع نوع من الصراع الخفي أحيانا والظاهر في كثير من الأحيان مع الحكومة الفرنسية.

٣. الثنائة اللغوية في فترة الاستقلال: هذه المرحلة تبتدئ باستقلال المغرب سنة ١٩٥٦، وتنتهي سنة ٢٠٠٣ تاريخ إدماج اللغة الأمازيغية في المدرسة المغربية بشكل رسمي.

وقد عاشت المدرسة المغربية خلال هذه المدة نوعا من الثنائية اللغوية المرغوب فيها، عكس ماكان عليه الأمر أيام الحماية الفرنسية. ولم يكن هناك صراع لغوي مشابهة للصراع المرتبط بفترة الاستعمار، رغم وجود مدارس شعبية، تَحدّثنا عنها قبل قليل، تعتمد اللغة العربية فقط. وقد تعايشت اللغتان العربية والفرنسية في المدرسة الحكومية، وساهمتا معاً في تكوين جيل من المغاربة يتمتّع بقدارت إداركية وفكرية أكثر غنى. وترتبط هذه الفترة بسياسة التعريب التي سنّتها الحكومة المغربية، كما تتميز بكثرة الإقبال على التعليم ممّا أدى إلى الاكتظاظ ونقص الإمكانيات، والتعثّر المصاحب للتخطيط الإداري والتسيير الأكاديمي، وانعدام السياسة التعليمية الناجعة التي تتطلّبها الظروف الجديدة في مجال تطوير المدرسة.

٤. التعددية اللغوية: بدأت هذه المرحلة الأخيرة سنة ٢٠٠١، وأصبحت قانونا منذ سنة ٢٠٠٣، تاريخ بناء المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، حيث بدأت وزارة التربية الوطنية، بتنسيق مع المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، عمليةَ إدماج دروس اللغة الأمازيغية في المدرسة الإبتدائية بداية الموسم الدراسي في شهر شتنبر ٢٠٠٣. وقد ظهرت خلال هذه الفترة دعوات أخرى مغايرة للواقع اللغوي المغربي، ومنها الدعوة إلى إدماج العامية المغربية في المدرسة الأساسية، وإحلالها محل اللغة العربية الفصيحة، الشيء الذي فتح الباب أمام كثرة الآراء في شأن اللغة والمدرسة سنشير إليها بين ثنايا المقال.

هذه هي المراحل الخاصة بحياة اللغة العربية في المدرسة المغربية منذ بداية الدولة الإسلامية في المغرب الأقصى إلى نهاية العقد الثاني من القرن الواحد والعشرين، وسندرس هذه المراحل مع الأحداث المواكبة لها، كما سنذكر نتائجها بالنسبة للمجتمع المغربي، وما يرتبط بتكوين الإنسان وبناء الحضارة. وسنناقش ما تطرحه بعض السياسات اللغوية من مشاكل وسلبيات. دون أن نغفل الحديث عن مهمة تأطير طائفة من الشباب المغربي أسنِدت بوعي أو بدون وعي إلى مدارس غير مغربية يتخرّج منها شباب مغربي لُقِّن لغةَ الآخرين، لكنه أميّ فيما يخصّ اللغة العربية وثقافتها، ولا تربطه أية علاقة بالمجتمع المغربي من حيث اللغة والثقافة.

## ١. المرحلة الأولى من مراحل اللغة العربية في المغرب (أحادية اللغة)

كانت اللغة العربية، منذ دخول الإسلام إلى المغرب حتى أوائل القرن العشرين اللغةَ الوحيدة المستعملة في مجال القراءة والكتابة، وكانت لغة الحديث في المجالس العلمية وفي اللقاءات التواصلية الوطنية والدولية في كل مجالات الحياة، في الوقت الذي بقي المجال التوصلي

المحلي خاصا باللهجات المحلية ، عربية كانت أو أمازيغية (٤). وتُعتبر هذه الفترة مرحلةَ ازدهار بالنسبة للغة العربية في المدرسة المغربية، فهي اللغة الوحيدة في تاريخ هذه المؤسسة التربوية، وقد ساهمت وحدها في بناء الحضارة المغربية، واحتفظت بكل ما كُتب عن المغرب منذ بداية الإسلام. ونظرا لارتباط اللغة العربية بالإسلام فإنها لم تنتشر في بداية الأمر لأنه لم يقرّ قرارالإسلام بعد الفتح الأول، ولم تسكن ثائرته بعدُ على حدّ عبارة العلامة عبد الله كنون (١٩٧٥، ص٥٢). ورغم الفتن والاضطرابات التي انتشرت بعد الفتح الأول فقد قامت جامعة القرويين التي أسّستها فاطمة أم البنين الفهرية بدور تربوي مهم. يقول عبد الله كنون (المرجع نفسه، ص٥٣): "على أننا إن صوّرنا الحياة الفكرية في هذا العصر بهذه الصورة القاتمة، فلا نمرّ بدون أن نشير إلى ذلك البصيص من النور الذي كان يومض خلالها أحيانا منبعثا من مصدر الإشعاع بفاس، أعني جامع القرويين... فمن المعلوم أن هذا المسجد الذي يعد أقدم جامعة علمية في العالم الإسلامي، قد أسّس في هذا العصر، على عهد الدولة الإدريسية وبالضبط في سنة ٢٤٥ هـ، ... "

وسنمرّ مرّ الكرام على بعض النتائج الخاصة بهذه المرحلة من تاريخ اللغة العربية في المدرسة المغربية لأن هذا المقال لن يستوعب كل ذلك. فبواسطة هذه اللغة تمّ بناء حضارة كبيرة في المغرب الأقصى متبوعة بحضارة أكبر في كل شمال إفريقيا وجنوب إسبانيا، وهي الحضارة التي يُطلَق عليها حضارة الغرب الإسلامي.

لو تتبّعنا باختصار شديد الحياة الفكرية والعلمية والأدبية التي أرّخ لها الباحث عبد الله كنون في كتابه النبوغ المغربي (المرجع السابق)، لوجدنا مئات العلماء والمفكرين والكتّاب والباحثين، ومكتبةً كبيرة تتناول مختلف العلوم والفنون، ألفت كلها باللغة العربية التي كانت لغة المدرسة بداية من جامعة القرويين بفاس، ومرورا بمؤسسات علمية كبرى حذت حذو القرويين مثل جامع ابن يوسف الذي بناه علي بن يوسف بن تاشفين بمدينة مراكش، وأيضا الجامع الأعظم ومدرسته بمدينة سلا اللذين بناهما المنصور الموحّدي، وغيرهما من المؤسسات العلمية الكبرى. وانتهاء بعدد كبير من المدارس العلمية المنتشرة في كل أرجاء المغرب في المدينة والبادية.

ففي الفترة الأولى التي لم ينتشر فيها الإسلام واللغة العربية بعدُ، والتي أشرنا إليها قبل قليل عدّ الباحث عبد الله كنون حوالي أربعين عالما ومؤلِّفا ظهروا في مختلف مناطق المغرب. أما خلال الإمبراطورية المغربية أثناء دولتي المرابطين والموّحدين، والتي شملت كل شمال إفريقيا بعاصمتها الوحيدة مدينة مرّاكش، فنجد مئات من العلماء الكبار نبغوا في مختلف العلوم الإنسانية وغيرها، مثل علوم اللغة العربية، والعلوم الدينية، والعلوم الفلسفية، والعلوم الحقة. ونشير باختصار إلى علماء مغاربة، لهم شهرة دولية، ظهروا خلال هذه الفترة منهم أبوالوليد بن رشد، وأبو بكر بن طفيل، وابن زهر، وموسى بن ميمون، وأبو عبد الله محمد الإدريسي، وابن رشد الكبير، وأبو بكر بن العربي، وابن عربي الحاتمي، وابن سبعين، وغيرهم من الشخصيات الغنيّة عن التعريف. هذا دون أن نتحدث عن مئات من علماء الدّين وعلماء اللغة من الباحثين المؤلفين الذين كانت مؤلفاتهم تُعتَمد في الجامعات الإسلامية إلى وقت قريب، مثل القاضي عيّاض وعليّ بن حرزهم، وأبو القاسم المعافري، وأبو موسى الجزولي، وابن مُعطٍ، وعبد الواحد المراكشي، وغيرهم.

وقد استعرض عبد الله كنون (المرجع نفسه) عشرات من أمهات الكتب التي ألّفها علماء المغرب في الفقه والأصول، وفي التفسير والحديث، وفي التصوّف، وفي اللغة والآدب، وفي التاريخ والسير والتراجم، وفي الفلسفة والرياضيات، وغير ذلك من مختلف العلوم. وقد قال عنها عبد الله كنون بعد أن استعرض جزءا من أسامي تلك الكتب (كنون ١٩٧٥، ص:١٧١): " ... فالمكتبة المغربية في هذا العصر كانت من أغنى المكاتب بالمؤلفات النادرة، وزادها غنى ما كان يضعه المؤلفون كل يوم من الكتب المفيدة في مختلف العلوم، فكانت ثروتها لا تزيد على مرّ الأيام إلا كثرة، ... ". ويمكن أن يقال نفس الشيء عن الحياة العلمية والأدبية في المغرب بعد أفول نجم الامبراطورية الكبيرة. أي بعد ضياع الأندلس، وانقسام الدولة المغاربية الكبرى في شمال إفريقيا إلى المغرب الأقصى والمغرب الأوسط والمغرب الأدنى،

ثم تطوّرت هذه التقسيمات فيما بعد إلى خمس دول مغاربية هي موريتانيا، المغرب، الجزائر، تونس، ليبيا.

لقد تعاقبت ثلاث دول كبرى على حكم المغرب بعد هذا التاريخ، وهي: دولة المرينيين، والدولة السعدية والدولة العلوية الشريفة. وقد أعطت المدرسة المغربية، بنظامها القديم وبلغتها الوحيدة التي هي اللغة العربية، شخصيات علمية مشهورة. نجد في دولة المرينيين علماء مثل عبد الرحمان المكّودي الذي يعتبر آخر من درّس كتاب سيبويه في مدرسة العطّارين بفاس، والعلامة ابن آجروم الذي تُدرّس مقدمتُه في النحو في كل مدارس المغرب وما تزال تُدرّس إلى الآن في المدارس الشعبية. ومنهم أيضا ابن بطّوطة أكبر رحّالة في العالم القديم، وابن أبي زرع في التاريخ، وابن البنّاء المراكشي في الفلك وعبد الرحمان اللّجائي في الهندسة والرياضيات وغيرهم كثير،

وتجدر الإشارة إلى ظهور المرأة المغربية ومساهمتها في بناء الحضارة العلمية في مختلف الميادين، مثل علوم الأدب والدين والطبّ وغيرها (عبد الله كنّون، ١٩٧٥، ص ٢١٢-٢١٣).

ونجد كذلك حركة علمية واسعة في عصر الدولتين السعدية والعلوية، حيث نبغت شخصيات علمية في جميع مجالات العلوم، وأُلّفت كتب ومراجع مهمة في مختلف العلوم والفنون. (عبد الله كنون، ١٩٧٥، ص ٢٤٣-٣٢٧).

وقبل أن نختم الحديث عن هذه المرحلة في تاريخ اللغة العربية في المغرب، لابد من الإشارة إلى دور اللغة العربية أيام الاستعمار الفرنسي أو ما يسمّى بالحماية. ففي الوقت الذي كانت الدولة المحتلّة تعتقد أن المدرسة الفرنسية مسيطرِة على مجلات التربية والتعليم، فُتح عدد كبير من المدارس الشعبية في كل مكان، وبدأت تمارس تكوين الشباب المغربي باللغة العربية. ومن هذه المدارس تخرّج المواطنون والمقاومون المغاربة، كما تخرّج منها جيل من علماء المغرب المعاصرين الذين ساهموا في تطوير الحركة الفكرية باللغة العربية بعد الاستقلال، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر السادة: علاّل الفاسي وعبد الله كنون والمختار السوسي مؤلّف كتاب المعسول، الذي أرّخ فيه خلال فترة الحماية، لعدد كبير من علماء اللغة العربية درسوا في المدارس الشعبية المتواجدة في منطقة سوس نواحي مدينة أكادير، يقول الدكتور طه جابر العلواني عن هذا الحدث التاريخي المهم (العلواني، ٢٠٠٩، ص٣٥): " وبرهن السوسي على أنه ليس بالرجل الذي يستسلم أو تلين قناته أبدا، فاستغلّ عزلته في الكتابة والتأليف، وعكف على تدوين تاريخ "سوس" ورجالاتها، فأنجز في ذلك موسوعته الضخمة "المعسول" التي ضمّت تراجم لأربعمائة وثمانين من علماء سوس وأدبائها وقادتها المجاهدين، لتكون ذاكرة الأجيال، وشاهدا خالداعلى تلك الأمجاد التي يحاول المستعمرون طمسها". وخلال المطالبة بالاستقلال قام رجال الحركة الوطنية بتنسيق مع الملك محمد الخامس بتقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال إلى سلطات الحماية الفرنسية وسلطات دولية أخرى. وهذه الوثيقة مكتوبة باللغة العربية وليس باللغة الفرنسية ولا باللغة الأمازيغية، بل بلغة عربية دقيقة تحمل من الدلالات الفكرية والعبارات اللغوية ما تعجز عنه بعض اللغات الأخرى. وقد ذُيّلت هذه الوثيقة بستة وستين توقيعا لشخصيات مغربية، دبّجت كلها باللغة العربية (٥). وفي هذا العمل السياسي الجبار دليل على دور اللغة العربية الطلائعي في تاريخ المغرب والمغاربة، ودليل آخر على أن اللغة العربية هي اللغة الجامعة فعلا، وليست اللغة المفرِّقة كما هو الحل بالنسبة للغة الفرنسية وكل اللهجات المغربية.

## ٢. المرحلة الثانية: ثنائية اللغة خلال فترة الحماية ١٩١٢-١٩٥٦

تُعتبر هذه المرحلة، بالنسبة للغة العربية، مرحلة الضعف والصراع من أجل البقاء، حيث استُعمِلت في المدرسة المغربية الرسمية، لأول مرة في حياتها، لغتان جديدتان وغريبتان بالنسبة للتاريخ اللغوي في المغرب. وهما اللغة الفرنسية في المناطق الخاضعة للاحتلال الفرنسي في أغلب مناطق المغرب، واللغة الإسبانية في مناطق الاحتلال الإسباني في الشمال والجنوب. وتبعا لذلك فقد تمّ تهميش اللغة العربية وتُحارَب علناً إما بمنع دراستها أوالنقص من عدد ساعاتها داخل الفصول الدراسية (٦). وتتميّز هذه الفترة بإعلان حرب لغوية للقضاء على اللغة العربية التي تعتبر خطيرة

بالنسبة للإدارة المحتلّة، فهي اللغة الجامعة لمختلف القبائل والجهات المغربية، كما أنها لغة الحضارة والتراث، ولغة المستقبل دون المرور على الخطط الاستعمارية الفرنسية.

ونسجلّ، من بين مظاهر الحرب اللغوية التي أعلنتها الحماية الفرنسة على اللغة العربية خلال هذه الفترة، ما يلي:

### ١،٢. افتتاح مدارس فرنسية أمازيغية

حيث لجأت سلطات الحماية الفرنسية، لأول مرة في تاريخ المغرب، إلى المناداة بأن الأمازيغ ليسوا عربا، وأنّ لغتهم هي الأمازيغية وليس اللغة العربية. ومن اللازم أن تُفتح مدارس أمازيغية لا علاقة لها باللغة العربية، ولكنها مدارس مفتوحة فقط أمام اللغتين الفرنسية والأمازيغية. يقول الأستاذ عبد الله تزلي (تزلي، ٢٠٠٧، ص١٦٧): " شكلت السياسة التعليمية الفرنسية إحدى وسائل الغزو الاستعماري، ومن خلالها حاول الفرنسيون اختراق الوسط الأمازيغي بواسطة إحداث شبكة من المدارس الفرنسية – الأمازيغية". وقد اختار الفرنسيون مدينة أزرو، قريبا من مدينة إفران في قلب الأطلس المتوسط، لفتح أول مدرسة بهذا التوجه اللغوي سنة ١٩٢٧م. وكانت في البداية مدرسة ابتدائية، ثمّ تحوّلت سنة ١٩٢٩ لتصبح مدرسة ثانوية. فتوسعت مرافقها، وتمّ تجهيزها بداخلية، وأطلق عليها اسم: الثانوية الأمازيغية بأزرو Collège Berbère d'Azrou (٧). ورغم هذه السياسة التعليمية الاستعمارية فإن كثيرا من التقارير سجلّت تراجع الإقبال على ثانوية أزرو، وغيرها من المدارس الفرنسية الأمازيغية ابتداء من سنة ١٩٣٥ (تزلي، المرجع نفسه)، (Payé، ١٩٩٢) (٨). وتشير نفس التقارير إلى تزايد الإقبال على المؤسسات القرآنية في تلك المناطق الأمازيغية. وكردّ فعل من الوطنيين المغاربة ظهرت المدارس التي يطلق عليها اسم المدارس الحرة التي سنتكلّم عنها بعد قليل في النقطة الثالثة من مظاهر الحرب اللغوية بين فرنسا والمغرب.

### ٢،٢. سياسة الظهير البربري،

عندما تأكدت فرنسا المحتلّة من محدودية مشروع المدارس الفرنسية الأمازيغية، لجأت إلى مشروع ثقافي أكبر فأصدرت في الجريدة الرسمية المغربية، في نسختها الفرنسية عدد ٩١٨ بتاريخ ٣٠ مايو ١٩٣٠، قانونا ينص على فصل المناطق الأمازيغية عن المناطق العربية، واستبدال القانون الإسلامي بالقانون الفرنسي، مع إحياء التقاليد والأعراف الأمازيغية. ويهدف هذا القانون إلى عزل الأمازيغ عن سلطة الإدارة المغربية المخزنية أي عن سلطة الملك، وإبعادهم عن قانون الشريعة الإسلامية (٩). وردّا على هذا القانون الفرنسي تحرّك المواطنون فكانت هناك مظاهرات تنادي في كل مناطق المغرب بعدم التفرقة بين مكونات الشعب المغربي، وكثيرا ما كان الناس يردّدون أناشيد باللغتين العربية والأمازيغية، ومنها النشيد الذي كتبه الزعيم علال الفاسي ردّا على الظهير البربري، ومطلعه:

**صوتٌ ينادي المغرب**

**مِن مازغ ويعرب**

**لا نرتضي بالتفرقة**

**ولو علونا المشنقة**

**ولو غدت مُمزّقة**

**أشلاؤنا فِدى الوطن**

وقد تمّت، لأول مرة، المناداة باستقلال المغرب خلال هذه المظاهرات.

### ٣،٢. افتتاح مدارس مغربية لتكوين الأجيال الصاعدة.

لقد أوضحنا، أثناء الحديث عن المدارس الفرنسية الأمازيغية، أن هذه الأخيرة بمثابة حروب تربوية مفتوحة أمام الشعب المغربي. وجاء الردّ سريعا عبر فتح مجموعة من المدارس المغربية سمّاها الوطنيون المغاربة بالمدارس الحرّة، انتشرت في كل المدن المغربية مثل الرباط وفاس وسلا والدار البيضاء ومكناس ومراكش وتطوان وغيرها، ...

ونذكر من بين المدارس التي تشكل نماذج لهذا المشروع التربوي المغربي تلك المدرسة التي أسسها الأستاذ محمد بن اليمني الناصري في مدينة الرباط سنة ١٩١٩، ثم مدرسة محمد كسوس التي أسّسها المناضل أحمد بلافريج سنة ١٩٣٢، ثم مدارس محمد الخامس بالرباط التي أسّسها المناضل عثمان جوريو بدعم من الملك محمد الخامس الذي أشرف بنفسه على تدشينها سنة

١٩٤٧م. وتُعتبَر هذه الأخيرة حصنا من حصون الوطنية، ولها دور بارز في توسيع خريطة اللغة العربية أثناء الحماية وبعد الاستقلال. وتطبيقا لهذه السياسة التربوية الجديدة استطاع بطل التحرير الملك محمد الخامس أن يعطي القدوة فأنشأ المعهد المولوي سنة ١٩٤٢ المدرسة التي يتخرج منها أفراد الأسرة الملكية بمن فيهم الملك الذي يحكم البلاد.

تهدف هذه المدارس إلى تكوين الوطنيين الشباب، وإلى الدفاع عن اللغة العربية والدراسات الإسلامية والتاريخ المغربي تلك المواد التي تمّ تهميشها في برامج المدارس الفرنسية. وبما أن الزعامات الوطنية هي التي أنشأت المدارس الحرة، فإنها قد أسهمت فعلا في نشر الوعي الوطني بين المغاربة، وردّ الاعتبار للغة العربية والدراسات الإسلامية دعما للسياسة التربوية، الموجودة منذ القديم، في المدارس الشعبية التي سبق أن تحدثنا عنها، والتي تسمى بالمدارس العتيقة، وقد انتشرت في المدن والبوادي منذ بناء جامعة القرويين بفاس.

### ٣. المرحلة الثالثة: الثنائية اللغوية بعد الاستقلال ١٩٥٦-٢٠٠٣

أعيد الاعتبار للغة العربية، خلال هذه الفترة التي انطلقت غداة الاستقلال، فأصبحت اللغةَ الأساسية في المدرسة دون تهميش ولا تضييق للغة الفرنسية، كما فعلت فرنسا مع اللغة الغربية إبّان الحماية. وقد حاولت الحكومة المغربية تطبيق الثنائية اللغوية داخل المدرسة، فتخرجت الأجيال الأولى مزدوجي اللغة فرنسية – عربية، رغم أن فرنسية غالبية هذا الجيل أقوى من اللغة العربية، لقرب العهد من فترة الحماية التي استفادت فيها اللغة الفرنسية من الإمكانيات الموجودة في مجال التربية والتعليم. وخلال السنوات السبعين من القرن الماضي تبنّت الحكومة المغربية سياسة مغربة الأطر وتعريب الإدارة والتعليم. وقد تمّ تعريب بعض المواد قبل ذلك التاريخ مثل الفلسفة والتاريخ والجغرافيا، لتنتهي عملية التعريب تدريجيا لتشمل جميع المواد بما فيها العلمية في كل أسلاك التعليم ما قبل الجامعي (١٠). فتخرّجت الأجيال الأخرى من المدرسة بعربية أقوى من الفرنسية. لقد استمرت هذه السياسة اللغوية في المدرسة المغربية مدة تقارب نصف قرن من الزمان، وأثارت نوعا من الصراع بين المدافعين عن اللغة الفرنسية والمدافعين عن اللغة العربية، فكانت النتيجة أن ترك المدرسةَ المغربية كثيرٌ من أصحاب الأموال وبعضُ من يسمّى بالفرنكفونيين، وتوجهوا بأبنائهم إلى المدارس الأجنبية.

لقد أدّت المدرسة المغربية، في الحقيقة، الأدوار المطلوبة منها رغم قلة الإمكانيات، فالأطر المسيّرة للإدارة العمومية، منذ الاستقلال إلى الآن، هم من المتخرّجين من هذه المدرسة، كما أن القطاع الخاص يعتمد بنسبة كبيرة على أولاد الشعب، حسب تعبير المغاربة، وأولاد الشعب هم أبناء المدرسة المغربية. ويعمل في الجامعات المغربية كثير من الباحثين بدرجات علمية متميزّة، وأغلب هؤلاء من المدرسة العمومية. لم يكن هناك أبدا مشكل لغوي سواء في الفترة الأولى بعد الاستقلال أو بعد تطبيق سياسة التعريب. فالمغاربة يتمتعون بقدرات خاصة ومهارت تعلّمية خصوصا في مجال تعليم اللغات الأجنبية، رغم أن المدرسة لا توفّر لهم وسائل متطورة في هذا الميدان. فالتعامل الموجود في المجتمع، منذ القديم، بين اللغتين الأمازيغية والعربية، ثم بين العربية الفصحى والفرنسية في الوقت المعاصر، قد ولّد لدى المواطن المغربي منذ القديم مهارات خاصة في تعلّم اللغات. هذه قضية لابد من أخذها بعين الاعتبار في مسألة تعلّم اللغات لدى الشباب المغربي. لكن السياسة اللغوية بالنسبة للمدرسة مسألة علمية قبل أن تكون مسألة سياسية أو إدارية، وإسنادها إلى الموظفين أو السياسيين فقط نوع من المغامرة. ومن اللازم أن يستشار فيها العلماء المتخصصون، خصوصا ونظامنا التعليمي يُلزم الطفل الصغير بتعلم ثلاث أو أربع لغات مع أنظمتها الكتابية الضاربة في الاختلاف والتباين. فحتى إذا كان هذا الطفل موهوبا فنحن شغلناه أكثر من اللازم بالعلوم الثانوية عن العلوم الرئيسية، فكيف يستطيع هذا الطفل التفرّغ للغات كثيرة بأنظمتها الكتابية والنحوية والتواصلية مع دراسة علوم أهمّ وأصعب مثل

الرياضيات والعلوم وغيرها. إن مكان تعليم اللغات باختلافها هو الجامعة وليس المدرسة، كما هو الأمر بالنسبة لكل الدول المتقدمة في العالم.

وأخيرا، فإن المشكل اللغوي في المدرسة المغربية يحتاج إلى دراسات علمية جادة، تماما مثل مشاكل أخرى تعاني منها المدرسة، وتكمن في قلة الإمكانيات أمام الإقبال المتزايد على التعليم لدى المغاربة، فالإدارة المعنية لم تستطع أن توفر أحيانا حتى المقاعد، دون الحديث عن المختبرات وعن المكتبات وغيرها، وأيضا مع الأسف الشديد عن الأساتذة وبرامج التكوين وإعادة التكوين، وغير ذلك من متطلبات الحياة التربوية الجديدة. نجد كثيرا من هذه القضايا التربوية موضوع نقاش علمي في دراسات مغربية نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: (المجلس الأعلى للتربية والتكوين، ٢٠١٥)، (الفاسي الفهري، ٢٠١٣/أ)، (تمحري عبد الرحيم،٢٠١٣ )، (مشروح إبراهيم، ٢٠٠٠)، (بنمسعود عبد المجيد، ٢٠٠٠)، (المكي المروني، ١٩٩٣)، (أبوالصواب وقيساني، ٢٠١٨)، وغيرها من الأبحاث العلمية التي بدأت منذ السنوات السبعين من القرن الماضي، وما زالت تُنشر إلى يومنا هذا.

## ٤. المرحلة الرابعة والأخيرة من مراحل اللغة العربية في المغرب (التعددية اللغوية)

دخلت المدرسة المغربية مرحلة التعددية اللغوية بانطلاق دروس اللغة الأمازيغية خلال شهر شتنبر ٢٠٠٣ (Boukous، ٢٠١٢). ولم تكن اللغة الأمازيغية لغة الكتابة في التاريخ اللغوي بالمغرب قبل هذا التاريخ باستثناء أعمال المهدي بن تومرت وغيره من علماء الإسلام الذين وظّفوا الخط العربي في الكتابة وليس حروف تيفِنّاغ (١١). لقد استعمل المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية كتابة تيفِنّاغ وأحياها لأول مرة في تاريخ المدرسة المغربية. وبقدر ما يتصف إحياء هذا التراث القديم بنوع من الاجتهاد خصوصا في مجال البحث العلمي والدراسات الاجتماعية، فإنه في نفس الوقت يشكل مغامرة ونوعا من الخطورة بالنسبة للغة الأمازيغية. وبناء على هذا التصور الجديد الذي نشارك به في هذا المقال فإن تعليم الأمازيغية في المغرب تقف أمامه، حسب وجهة نظرنا، جملة من التحديات نذكر منها مايلي:

### ١،٤. خط تيفِنّاغ

يبدو هذا الخط شبه معقّد إلى حد ما، ويحتاج، من أجل إتقانه وسهولة استعماله، إلى مرحلة تعليمية – تعلّمية غير متاحة للجميع، وحتي الشباب الذين يتعلمونه في المدارس هم قلّة بالنسبة للشباب المغربي، وهذا يعني أن هذا الخط سيبقى دائما، من الناحية التطبيقية، دون الخط العربي أو حتى الخط اللاتيني. ويوجد الآن كما سيبقى في الأجيال القادمة من لا يريد أن يتعلّم هذا الخط، ومَن يتجاهل اللغة الأمازيغية بسببه. ولذلك كانت أعمال المهدي بن تومرت وعلماء الإسلام آية من آيات العبقرية والإبداع، فقد كتبوا الأمازيغية بالحروف العربية. ونظرا للأعمال الجليلة التي أغنوا بها الأمازيغية، خصوصا لهجة تاشلحيت السوسية فإن هذه اللغة تعتبر من اللغات الإسلامية المهمة، وبإمكانها أن تحذو حذو لغات إسلامية كبرى مثل اللغة الفارسية أو لغة الأردو مثلا. وهنا نتسآل لماذا تمّ تغيير وجهة هذه اللغة الإسلامية ؟ ولماذ لم تُحترَم التقاليد المغربية منذ عصر الموحدين إلى يومنا هذا (١٢).

إن خط تيفنّاغ يقف حجر عثرة أمام استعمال الأمازيغية ونشرها بين المغاربة، فكثير من الكلمات والجمل المكتوبة في الشارع العام بخط تيفنّاغ لا يلتفت إليها المارّة لأنهم لا يفهمونها، ولو كانت مكتوبة بالخط العربي لقرأها الناس وتعلّموها، وطوّروا بها، تبعا لذلك، سبل التواصل بهذه اللغة. ومن هنا فإن خط تيفنّاغ يساهم في إبعاد اللغة الأمازيغية عن الناس وإبعاد الناس عنها.

### ٢،٤. اللغة الناشئة بالمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية

توجد في المغرب ثلاث لهجات أمازيغية كبرى هي: تاشلحيت وتامازيغت وتاريفيت، وحسب إحصائيات المندوبية السامية للتخطيط فإن الناطقين بهذه اللهجات يمثلون النسب المائوية التالية: تاشلحيت ٥٢٪، تامازيغت ٣١,٢٪، تاريفيت ١٦٪ (Boukous)، ٢٠١٢:p٢٠

(١٣). هذه اللغات تتقارب في تراثها وتاريخها، وتختلف مظاهرها الثقافية بشكل أو بآخر من ظاهرة إلى أخرى. ولها كلها ترابط وثيق باللغة العربية والثقافة الإسلامية، وهي في نظرنا، تراث مغاربي يحتاج إلى العناية والاهتمام كما هو دون تغيير. ونتسآل، بهذا الصدد، عن السياسة التي ينهجها المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية ؟

يحاول الباحثون في هذه المؤسسة توحيد هذه اللهجات في لغة واحدة تسميها بعض الدراسات العلمية "اللغة الناشئة" (الفاسي الفهري، ٢٠١٣/أ). وبقدر ما يتصف هذا العمل بنوع من الجُرأة، فإنه يحتكم إلى الذاتية ويفتقد الموضوعية والعلمية، لماذا ؟ إن اللغة الناشئة التي يخترعها الباحثون في المعهد تخرج عن المحيط الطبيعي للغة بشكل أو بآخر. إنها، في الحقيقة، نوع من اللغات الاصطناعية. ويعرف علماء اللغة أن اللغات الطبيعية التي يتكلّم بها الناس أقدر على البقاء والاستمرار من اللغات الاصطناعية (١٤).

فمَن مِن الأمازيغ سيتواصل بهذه اللغة الناشئة مقابل أن يهجر لغته الطبيعية لتموت، وهل يعني هذا أن من مهام المعهد قتل اللهجات الأمازيغية التي عاشت منذ آلاف السنين، والتي تعايشت معها اللغة العربية الفصحى منذ بداية الإسلام، فاحترمتها في ظل الديمقراطية اللغوية التي لا يمكن الحديث عنها في المغرب إلا مع اللغة العربية الفصحى، كما أشرنا إلى ذلك في الهامش رقم ٤.

إن اختيار الحروف الملائمة لكتابة اللغة الأمازيغية، ووضع لغة جديدة على حساب اللهجات الأمازيغية، التي ورثها المغاربة أباً عن جدّ، مسألة وطنية كبرى لا يجب أن يتصرف فيها الباحثون في المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية وحدهم. ونحن نتفق، بهذا الصدد، مع رأي الدكتور عبد القادر الفاسي الفهري الذي يقول: (الفاسي الفهري، ٢٠١٣/أ، ص ١٣٠): "... إن المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية سعى إلى إقامة هذ اللغة المشتركة، ولكن قبولها كلغة مُعيّرة، أو قبول حرف تيفنّاغ لكتابتها، يحتاج إلى استفتاء لغوي للشعب في أمر التوحيد بهذه الطريقة".

### ٣,٤. العامية المغربية

ظهرت، خلال المرحلة الأخيرة وابتداء من سنة ٢٠١٣، الدعوة إلى إدماج العامية المغربية في المدرسة الأساسية، وإحلالها محل اللغة العربية الفصحى (عيوش نور الدين ٢٠١٣). ولا يفوتنا أن نشير، منذ البداية، إلى وجود الدارجة أو العامية في المدرسة قبل هذا التاريخ، فبعض المدرّسين يتواصلون بها مع التلاميذ، وبها يشرحون الدروس لتسهيل المأمورية لهم وللمتعلّمين. وهذا يخالف العرف التربوي الذي يفرض استعمال لغة المدرسة في التدريس، من أجل مساعدة الاطفال على تطوير مهاراتهم التواصلية بها. ولا توجد دراسات إلى حدود الساعة، حسب معرفتنا، تبيّن نسب الاستعمال، ولماذا؟ وكيف؟ وأين ؟. ويُعتبَر هذا السلوك اللغوي الموجود لدى بعض المدرّسين، مع الأسف الشديد، من الأسباب التي تقرّب العامية إلى الأجيال الصاعدة وتبعد عنهم الفصحى. غير أن هذا السلوك يتحوّل إلى نوع من العِقاب وإلى ديكتاتورية لغوية عندما يستعمل بعض المدرّسين هذه اللهجة في مدارس أمازيغية، ليصبح التلاميذ حائرين بين نظامين تواصليين هما العامية المغربية واللغة العربية الفصحى. فأي نظام تواصلي منهما يتعلّم التلاميذ ؟ وهذا السلوك يُحيي منهم نعرات قَبَليّة أمازيغية تجعلهم يطالبون باستعمال لهجاتهم لشرح الدروس التي هي أصلا باللغة العربية.

هذا المشكل موجود في المدرسة قبل دعوة نور الدين عيوش، لكن الذي فتح أمام تصريحات هذا الأخير حربا بين الدعاية والغضب الشعبي، هو دعوته إلى تبنّي العامية كتابة، وترك اللغة العربية الفصحى. وقد ردّ عليه كثير من الباحثين والصحفيين مثل الباحث المؤرخ الدكتور عبد الله العروي عندما جمعتهما جلسة في التلفزة المغربية خلال ذلك التاريخ. كما ردّ عليه الباحث اللغوي الدكتور الفاسي الفهري (الفاسي الفهري، ٢٠١٣/ب) قائلا: "بإن مقترح أن تصبح العربية العامية لغة مرسّمة في التعليم، على حساب العربية الفصيحة، مقترح جاء اعتباطا بدون مقدمات. ولا رؤية نظرية أو تجريبية، سياسية أو فكرية أو تربوية تستند إلى وقائع موضوعية، وتراكم تاريخي – تركيبي

واع بما حققه المغاربة في مسارهم الحضاري – الثقافي". وقد شكل هذا الحدث مجالا للدفاع عن اللغة العربية الفصحى تبنّته أقلام مغربية، نذكر منها على سبيل المثال فقط، إضافة إلى أعمال الأستاذين الفاسي الفهري وعبد الله العروي، المقال الذي نشره الدكتور عز الدين بونيت (بونيت ٢٠١٣) ردّاً على أحمد عصيد واحد من أعداء اللغة العربية الفصحى في المغرب (١٥)، كما شارك في هذه المعركة الصحفي مصطفى خُلال بمقال تحليلي مهمّ (خُلال مصطفى، ٢٠١٣). وأخيرا لابد أن نذكر عميد الصحفيين في المغرب الأستاذ مصطفى العلوي الذي نشر مقالا في الموضوع (العلوي مصطفى، ٢٠١٣). وخصّصت كثير من الصحف المغربية صفحات للنقاش في هذا الموضوع ، نذكر منها على سبيل المثال جريدة "الأحداث المغربية" التي عنونت صفحتها بعبارة "قضية للنقاش: العربية في مواجهة المغربية، الآراء والردود المضادة". وفتحت جريدة "الأسبوع الصحفي" لقاءات تواصلية مع شخصيات مغربية نذكرمنها اللقاء مع الأستاذ علال سي ناصر مستشار الملك الحسن الثاني الذي هاجم أنصار الدارجة قائلا: عيوش ينشر"الخزعبلات" وحضور الهمة في لقاءاته استغلال للسلطة" (علال سي ناصر، ٢٠١٤).

ومن وجهة نظرنا، فإن تبنّي الدارجة في المدرسة المغربية سيشكل ضربة قاضية لهذه المدرسة، وسيجعل المغاربة يهربون بأبنائهم إلى المدارس الأجنبية. وبذلك فإننا نعتقد أن الدفاع عن اللهجات هو نوع من الدفاع عن اللغة الفرنسية أو اللغة الإنجليزية في المستقبل، فاللهجات لن تستطيع أبدا القيام بكل الأدوار الحضارية، وستترك الباب مفتوحا أمام اللغات الأجنبية. فاللغة العربية هي لغة الحضارة والفكر، وهي لغة متطورة جدا أكثر من اللغات الغربية في بعض الحالات، يعرف هذا علماء اللغة وعلماء الترجمة ممّن يقف على هذه الإمكانيات أثناء الترجمة من وإلى مختلف لغات العالم. يضاف إلى هذا أن الذين يدافعون عن المقترح قيد النقاش يجهلون، في الحقيقة، قيمة اللغة العربية الفصيحة، وأكثرهم تعلّم في مدارس غير مغربية، وأبناؤهم يدرسون اليوم أو درسوا في تلك المدارس أيضا، ومن جهل شيئا عاداه. ولابد أن تبقى العاميات العربية المغربية في مكانها لأنها ليست عامية واحدة. فقد بدأت عامية المدن الكبرى مثل الدار البيضاء تنتشر في المغرب لأسباب اقتصادية فقط، وهي في طريقها إلى توحيد نموذج التواصل بين المغاربة ولكن بطريقة ديكتاتورية، فلن يتحقّق ذلك إلا على حساب موت باقي اللهجات التي هي تراث لغوي تعدّدي ميّز تاريخ المغرب والمغاربة. إن هذه اللهجة، التي يدافع عنها بعض اللغويين المغاربة (١٦)،هي دون لهجة المدن العتيقة غِنى وحضارةً وفكرا، وهل يقبلها أهل فاس أو أهل الرباط أوطنجة أو مراكش، ...؟ وهل يقبل الأمازيغ أن تموت لهجاتهم لصالح اللهجة البيضاوية؟ إن اختيار هذه اللهجة والدفاع عنها سيساهم، دون شك، في الصراع والتفرقة بين المغاربة.

يشير الدكتور بوكوس إلى أن "الدارجة المغربية تُعتبر المنافس الرئيسي للأمازيغية وبالتالي الخطر المباشر لها" (Boukous ٢٠١٢، p:٣١٥) .

أخيرا لابد من التذكير بالفرضية اللغوية التي دافعنا عنها في هذا المقال والتي مفادها أن الديمقراطية اللغوية لن تتحقق في المغرب وكذلك في الجزائر إلا باستعمال اللغة العربية الفصيحة لغة المدرسة والإدارة، ولغة الكتابة والتواصل العام. فقد احترمت اللغة العربية دائما، منذ ألف سنة وزيادة، جميع اللهجات الموجودة وتركت لها مجال التواصل اليومي، وبقيت هي لغة الكتابة والمدرسة، ولغة الفكر والتواصل العام. وأية لغة أو لهجة أخرى، غير العربية الفصيحة، ستنتشر، مع الأسف الشديد، على حساب اللغات واللهجات الأخرى. إن اللغة العربية تحقق الأمن اللغوي في المغرب وفي كل شمال إفريقيا.

وتبريرا لما قلناه من أن الدفاع عن اللهجات هو نوع من الدفاع عن اللغة الفرنسية في الوقت الراهن، فقد تمّ التراجع عن نظام التعريب في خضم هذه المعركة اللغوية، وبالضبط في السنة التي عرفت الدفاع عن العامية المغربية. فقد افتُتِح فرع الباكالوريا الفرنسية ، خلال الموسم الدراسي ٢٠١٣-٢٠١٤، في ستّ ثانويات مغربية كمشروع تربوي. وبمساعدة

من فرع "التعاون الفرنسي" صار بإمكان التلاميذ متابعة دروس الرياضيات والعلوم الفيزيائية، والعلوم الطبيعية، والأدب الفرنسي، والتاريخ، باللغة الفرنسية.

وقد تعالت صيحات هنا وهناك، وانتقد الناس عدم استقرار نظام التعليم في المغرب، والرجوع به مرة أخرى إلى أحضان اللغة الفرنسية، في الوقت الذي يتزاحم الشباب لتعلّم اللغة الإنجليزية في المراكز الأمريكية المنتشرة في المدن المغربية.

### ٤,٤. المدارس الأجنبية في المغرب

توجد في المغرب مدارس فرنسية وأمركية وإسبانية، ومدارس أخرى بنسب قليلة جدا، وقد فوّضنا لهذه المدارس مهمة تأطير مجموعة من الشباب المغربي وذلك بوعي أو بدون وعي من أولي الأمر ومن الدولة نفسها. هؤلاء لاعلاقة لهم باللغة العربية ولا باللهجات والثقافة المغربية، فهم يجدون صعوبة في التأقلم مع الثقافة المغربية، وينظرون إلى مستقبلهم دائما في البلد الذي تعلّموا لغته وليس في المغرب، وإذا لم يُوفّقوا في ذلك فإنهم قد يعيشون داخل مجموعات منعزلين عن المجتمع. غير أن أغلبهم تنتظرهم دائما مناصب حكومية للعمل بعد الدراسة (١٧). فهم يسوسون الشعب دون معرفته، ويحكمون المغرب وتفكيرهم في فرنسا. ففي كل مرة يتدخل أمام وسائل الاعلام بعضُ الوزراء الذين تخرّجوا من المدارس الفرنسية تجد سوقا رائجة من السخرية والاستهزاء لدى المغاربة في وسائل التواصل الاجتماعي. قد يكون هذا مقبولا في الحكومات الأولى بعد الاستقلال، ولكنه غير مقبول تماما بعد ستين سنة من استقلال المغرب. إنّنا نقترح بصدد الحديث عن هذا المشكل، الذي يخرق أعراف التقاليد الدولية، ويستهزئ باللغة الرسمية وبالمغاربة تاريخا وشعبا وثقافةً، أن تُفتح مدراس، تابعة لرئاسة الحكومة ولمجلسي النواب والمستشارين، يدرس فيها اللغةَ العربية وتاريخَ المغرب ومظاهر الثقافة المغربية كلُّ وزير أو مسؤول أو منتخب برلماني تُسنَد إليه مسؤوليات في الحكومة المغربية وهو من هذا النوع الذي نتحدث عنه. وإذا بقي الأمر كما هو فمن السهولة أن يحكم المرء بأن هناك زحفا استعماريا جديدا للدول الغربية بمدارسها ولغاتها للسيطرة على عقول المغاربة.

ولا يخفى علينا أن هذه الظاهرة موجودة في كل العالم العربي، يقول إدريس مقبول (مقبول، ٢٠١١): " ولعله من مظاهر الانحدار الحضاري، ما نراه من مسارعة للأسر العربية لتسجيل أبنائها في المدارس الأجنبية، ... اعتقادا منهم أن هذا المسلك هو وحده الذي يمنح التميّز والتفوق في المستقبل، حتى يصير الشباب المتخرج من هذه المدارس فاقدا لأهم شرط في وجوده، وهو هويته اللغوية التي أصبح غريبا عنها، وغريبا عن قيمها الحضارية والدينية والثقافية ..."

إننا نعرف كثيرا من هؤلاء الشباب، الذين هم ضحايا المدرسة الأجنبية في المغرب، وتكمن مشكلتهم في كون المدارس الفرنسية تبعدهم عن اللغة العربية والثقافة المغربية، وبعد ذلك يتمّ تكوينهم في الجامعات المغربية أو الفرنسية بعيدا عن كل ما له علاقة بالمغرب لغةً وثقافةً، ورغم ذلك فأغلبهم ممّن يدير شؤون المغرب والمغاربة. تُعتبر جامعة الأخوين في إفران الجامعة المغربية الوحيدة التي تقدّم، للذين يلتحقون بها منهم، دروسا في اللغة العربية والحضارة الإسلامية والفن الإسلامي، ودروسا عن تاريخ وجغرافية المغرب وشمال إفريقيا، وكل ما يتعلق بمظاهر الأناسة الثقافية أوالثقافة الانتروبولوجية، ممّا له علاقة بالمرأة والرجل ومكانتهما في المجتمع المغربي (جامعة الأخوين، ٢٠١٧-٢٠١٩).

في دراسة أنجزناها عن الشباب المتمدرس (Quissani et all، ٢٠١٨) وجدنا أن ٢٠٪ من الشباب يدرسون في المدرسة الفرنسية، و٤٪ في المدرسة الأمريكية، و١٪ في المدرسة الإسبانية. وهذه النسب المائوية تزداد يوما بعد يوم، وتشوّش على توحيد الشعب المغربي في اللغة والهوية والوطنية.

هذا المحيط التربوي المعاصر يفرّق بين المغاربة في اللغة والثقافة والتواصل، وبذلك تصبح كثرة اللغات واختلاف المدارس، بعيدا عن توجيه تربوي وسياسة لغوية واضحة، عاملا من عوامل تقسيم المواطنين إلى شعوب

وأجناس. وما يقال عن المغرب في هذا المجال قد يصح أيضا في دول مغاربية مجاورة خصوصا الجزائر وتونس مع بعض الاختلافات.

إننا نمر في مرحلة حضارية تُعتبر فيها المدرسة ولغةُ المدرسة بمثابة جامعة وطنية تتخرّج منها الشعوب لبناء المستقبل.

### ٥,٤. اللغة العربية ومستقبل الشعوب المغاربية

نختم هذا المقال بالإشارة إلى أن مستقبل شمال إفريقيا يكمن في العلاقات اللغوية والثقافية الرابطة بين الدول المغاربية. فمن باب الاخلاص والأمانة العلمية أن ننظر إلى المسألة اللغوية، كلما استحضرناها في بلد من بلدان هذ المنطقة، من منظور إقليمي وليس من منظور محلي. فنحن نؤمن بمستقبل هذه المنطقة كقوة مغاربية صاعدة، وكل الذين يسخرون من هذا التوجه الحضاري فهم ينفخون في هشيم الاستعمار لا أقل ولا أكثر. إن السياسات تتغيّر كما تتغير أحوال الطقس، وتبقى اللغة والثقافة والمصالح المشتركة ثابتة ومستقرّة. ومن هذه الناحية فإن اللغة التي ساهمت في بناء تاريخ هذه المنطقة هي اللغة العربية، وهي اللغة التي بإمكانها أن تساهم في بناء المستقبل بشكل سريع ومتحضّر.

يتحدث فؤاد بوعلي عن اللغة والهوية الوطنية في المغرب (بوعلي، ٢٠١٥) ويبين أن اللغة العربية هي القادرة وحدها على ربطنا بهويتنا كمغاربة. وبناء على هذا التوجه المحلي الواضح، فإن المنظور الإقليمي يلحّ أكثر على العلاقة بين اللغة العربية وبين الهوية المغاربية التي ستفرضها علينا السنوات القادمة. وفي نفس الإطار يعتبر الدكتور رشيد بلحبيب اللغةَ العربية وسيلة أساسية من وسائل التنمية، (بلحبيب، ٢٠١١) ويقدم نماذج مهمة وناطقة بأن البلاد المجزأة لغويا بشكل كبير هي بلاد فقيرة دائما (بلحبيب، نفس المرجع، ص: ٧٠)، ويشير هذا المقال إلى أن ثورة فرنسا رافقتها الثورة اللغوية على اللهجات ليتمّ اعتماد اللغة الفرنسية الموحِّدة. هذا فيما يهم البلد الواحد، وأرجع مرة أخرى إلى المنطقة المغاربية بأنها تتوفر على كنز لغوي لتطوير علاقاتها المستقبلية دون تكرار تجربة أوروبا المجزأة لغويا.

أركّز في نهاية هذا المقال على المنطقة المغاربية كبعد استراتيجي للحفاظ على اللغة العربية والدفاع عنها، وأريد، بهذا الصد، أن أشير إلى أن المنطقة المغاربية في حاجة ماسة إلى تأسيس أكاديمية اللغة العربية. ومن شأن هذه المؤسسة أن تجمع علماء اللغة العربية المغاربيين، بعيدا عن المشاكل السياسية المطروحة، من أجل مواكبة مستقبل اللغة العربية في هذه المنطقة، وإنجاز دراسات علمية متميّزة تُرفع عنها تقارير إلى السياسيين في دول المنطقة. إن أكاديمية اللغة العربية المغاربية هي وحدها القادرة على البتّ في كل القضايا التي تربط اللغة العربية بالمدرسة وبالإدارة والمجتمع، كما يمكنها أن تقدّم للشعوب المغاربية حلولا علمية لكل المشاكل اللغوية المطروحة.

يشير الدكتور الفاسي الفهري إلى أن الدولة المغربية تنازلت عن بناء أكاديمية اللغة العربية لأسباب غير مقنعة في بدايات هذا القرن، (١٨). (الفاسي الفهري، ٢٠١٣/أ). ونحن بدورنا نعتقد أن المشاكل اللغوية، التي يعيشها المغرب داخليا، هي التي حالت دون قدرة الدولة على تحقيق هذا المشروع الأكاديمي الكبير، وقد يكون هذا الحكم واردا أيضا بالنسبة للجزائر التي تعيش نفس المشاكل، وغير وارد بالنسبة لدولة تونس. وتوجد في هذين البلدين مؤسسات أكاديمية للغة العربية على شكل مجامع لغوية، كما يوجد في المغرب معهد تنسيق التعريب في الوطن العربي، الشيء الذي يسهّل تحوّل هذه الإدارات إلى أكاديمية اللغة العربية. ويُكتب الشرف لهذه اللغة أن تتّحد بسببها الدول المغاربية ثقافيا ولغويا، قبل توحيدها على المستوى الاقتصادي والسياسي. لكن قد يكون من باب خدمة اللغة العربية، لغة العالم العربي، أن تتدخل دول الخليج خصوصا المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة، كي تقنع الدول المعنية وتساعدها في تحقيق هذا المشروع المستقبلي للمنطقة المغاربية، المنطقة التي تريد جهات أخرى فصلها عن خريطة العالم العربي.

# الهوامش

(١) أورد الباحث عبد العزيز بن عبد الله في كتابه "تطور الفكر واللغة في المغرب الحديث" أن القيروان كانت تزخر في بداياتها بأكثر من مائة وخمسين ألفا من العرب، ولا شكّ أن هذا العدد الكبير من الناس قد ساهم في نشر اللغة العربية في هذه المنطقة المغاربية منذ بداية الإسلام.

(٢) بدأت خريطة اللغة العربية تتوسع في شمال إفريقيا منذ عهد عمر بن عبد العزيز الأموي، أي سنة ١٠١ هـ الموافق لعام ٧٢٠ م حيث أوفد مع واليه إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر بعض العرب العلماء من أجل ستكمال الدعوة التي بدأت منذ عهد الخليفة الوليد. (الناصري، الاستقصاء)

(٣) يذكر بعض المؤرخين الدور المهمّ الذي أسند إلى مسجد "أغمات غيلانة" الذي تحدّث عنه ابن عذاري في كتابه: " بيان المُغرِب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب " الجزء الأول، ص ٣٧. وقد كتب الباحث المغربي عبد العزيز بن عبد الله (المرجع السابق) عن هذا المسجد قائلا: " لعلّ أوّل أثر للفتح العربي هو مسجد "أغمات غيلانة" الذي يرجع تاريخ بنائه إلى عام ٨٥ هـ.

(٤) تُعتبَر اللغة العربية الفصحى اللغة الوحيدة القادرة على تطبيق الديمقراطية اللغوية في المغرب. فهي تسمح للناس باستعمال كل اللهجات في حياتهم اليومية، عكس اللغات الأخرى المستعمَلة في الساحة المغربية، تلك التي تهدف دائما إلى السيطرة على الساحة أولا، ثم القضاء ثانيا على اللغات واللهجات الأخرى. وهذا الحكم يصح بالنسبة للغة الفرنسية واللهجات المغربية العربية منها والأمازيغية.

(٥) سُلّمت نسخ من الوثيقة باللغة العربية، غير مترجمة إلى أية لغة أخرى، إلى المقيم العام الفرنسي وإلى قنصلي بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، وإلى الجنرال ديغول، وإلى سفير الاتحاد السوفياتي السابق في الجزائر الفرنسية آنذاك. ولهذا الفعل بالنسبة لموقّعي الوثيقة دلالة حضارية كبرى، فهم يعتبرون اللغة العربية لغة دولية يفهمها الجميع ولا عذر لمن لا يفهمها. ولو وقع هذا الحدث التاريخي اليوم لكتب السياسيون المغاربة هذه الوثيقة باللغة العربية، وباللغة الفرنسية، وربما باللغة الإنجليزية أيضا، كما يقع اليوم في كل العالم العربي. وفي هذه الحالة فإننا لا نملك الثقة، مع الأسف الشديد، في عالمية اللغة العربية. وفي وثيقة المطالبة بالاستقلال، موضوع حديثنا، نجد كل التوقيعات بالحرف العربي، بينما نجد اليوم كثيرا من الشخصيات المغربية بل المغاربية يوقعون بالحروف اللاتينية، لأن التعليم الذي تلقّوه أبعدهم عن الحرف العربي، حتى في التوقيع الذي يُعتبر أقرب الرموز الكتابية إلى نفس الإنسان.

(٦) حصتان أسبوعيتان للغة العربية، مقابل حوالي عشرين حصة أسبوعيا للغة الفرنسية (الكثيري، ٢٠٠٧)

(٧) هذه الثانوية الفرنسية الأمازيغية أصبحت تحمل اسم ثانوية طارق بن زياد ابتداء من سنة ١٩٥٧، أي سنة واحدة فقط بعد الاستقلال، ، ويُعتبر طارق بن زيّاد من الأمازيغ المسلمين، وهو قائد بارز في عهد موسى بن نصير، وله دور كبير في فتح الأندلس ودخول قرطبة وطليطلة وإشبيلية ومالقة. وقد دخل دمشق في موكب عظيم أيام الوليد بن عبد الملك. توفي سنة ١٠٢هـ الموافق لعام ٧٢٠ م.

(٨) يشير السيد مصطفى الكثيري، المندوب السامي لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، في بعض خطبه إلى حصيلة التعليم الاستعماري في المغرب، وبيّن أن عدد الأطفال المغاربة الذين تابعوا دراستهم في المدارس الفرنسية قليل جدا، كما تبيّنه الأرقام التالية:

في سنة ١٩٢٠ عدد أطفال المدارس لا يتعدى سبعة آلاف طفل،

وفي سنة ١٩٤٥ بلغت نسبة الأطفال المغاربة في تلك المدارس ٢،٧٪ فقط من مجموع الأطفال البالغين سنّ التمدرس،

وقد تمّ تسجيل بعض نتائج الدراسة ما بين سنتي ١٩٢٦ و ١٩٣٦ كما يلي:

٣٠ تلميذا مغربيا فقط حصلوا على الشهادة الثانوية،

مغربي مسلم واحد فقط حصل على الإجازة في القانون (الكثيري، ٢٠٠٧).

(٩) يهدف الظهير البربري من بين ما يهدف إليه إلى التفرقة العنصرية بين المغاربة الأمازيغ والمغاربة العرب، وخلق صراع لغوي ثقافي بين المغاربة. هذه التفرقة التي حاربها الإسلام واختفت تقريبا في المناطق المغاربية. وينص الظهير أيضا على نزع الأراضي من السكان الأمازيغ وإعطاء حق التصرف فيها للفرنسيين. ويتزامن الظهير البربري مع أحداث مغاربية أخرى مثل الاحتفال بالذكرى المائوية لاحتلال الجزائر، وإعدام عمر المختار.

(١٠) يحتفظ التعليم الجامعي المغربي في أغلب تخصصاته باللغة الفرنسية خصوصا الشعب العلمية، بينما تتقاسم اللغتان العربية والفرنسية الشعب المرتبطة بالعلوم الإنسانية والاجتماعية. ونشير هنا إلى أن اللغة الإنجليزية هي لغة التدريس في جامعة مغربية واحدة فقط، هي جامعة الأخوين بإفران.

(١١) أستُعمِلت حروف تيفنّاغ أو الكتابة الليبية أو اللوبية قبل آلاف السنين حسب الدكتور بوكوس (Boukous، ٢٠١٢: p ٢٢١-٢٣٦)، لكن لا نملك اليوم أية وثيقة، باستثناء النقوش، مكتوبة بحروف تيفِنّاغ، وعلى العكس توجد لدينا في المغرب وثائق أمازيغية مكتوبة بالحرف العربي.

(١٢) توجد في المكتبة المغربية كتب أمازيغية مكتوبة بالحرف العربي ويقرأها الناس في سوس، ويحفظونها عن ظهر قلب مثل كتاب "أوزال" وغيره، وعادة ما يجد المتصفّح للوثائق العائلية في بعض المكتبات السوسية أوراقا أمازيغية مكتوبة بالخط العربي. ومن بين ما يتمّ تداوله بين الأمازيغ حتى يومنا هذا رسائل أمازيغية مكتوبة بالحرف العربي. وهذه صفحات تاريخية أمازيغية لم يأخذها بعين الاعتبار المسؤولون في المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية.

(١٣). الاحصائيات التي ذكرها الدكتور بوكوس ترتبط بالإحصاء العام لسنة ٢٠٠٤. وحسب هذه الاحالة المرجعية فإن الناطقين بالأمازيغية في المغرب يمثلون نسبة ٢٨٪ من السكان، بينما تصل نسبتهم في الجزائر إلى ٢٧,٤٪، وإلى ١٪ فقط في تونس. ويورد الفاسي الفهري (الفاسي الفهري، ٢٠١٣/أ، ص ١٣٠) أن المتكلمين باللغة الأمازيغية في المغرب يصلون إلى ٧,٥ مليون نسمة سنة ٢٠٠٩ .

(١٤) توجد في العالم لغات اصطناعية كثيرة أغلبها من أوروبا، وأهمها وأقدرها على البقاء اللغة التي يطلق عليها لغة الاسبرانتو، وقد اخترعها اللغوي البولندي لودفيغ زامنهوف سنة ١٨٨٧. وكان السبب في اختراعها هو الرغبة في وجود لغة محايدة للتواصل الدولي بعيدا عن صراع الشعوب من أجل تحقيق ذلك بلغاتهم الخاصة، لكن لغة الاسبرانتو لم تستطع تحقيق أمنية صاحبها، مع الأسف، لأنها لغة اصطناعية رغم أنها تكوّنت من عناصر نحوية ومعجمية مأخوذة من اللغات الطبيعية. ورغم ذلك فإن الاسبرانتو أقدر اللغات الطبيعية، كما قلنا، على البقاء، ولذلك فهي متداولة عند بعض مؤيديها لا أقل ولا أكثر. وكثير من اللغات الاصطناعية لا تعرف الحياة خارج عقول مخترعيها. فيا تُرى، هل تصرف الأموال على اللغة الأمازيغية الناشئة ليكون مصيرها مثل هذه اللغات؟.

(١٥) نقرأ في كتاب الدكتور الفاسي الفهري (الفاسي الفهري، ٢٠١٣/أ، ص ١٢٨-١٢٩) أن هناك ثلاث حركات معادية للغة العربية الفصيحة في المغرب، وهي لا تمثل مواقف الشعب الإيجابية تجاه اللغة العربية. وهذه الحركات هي: ١- دعاة الفرنكفونية، ٢- الحركة الأمازيغية المتطرّفة، ٣- الحركة الداعية إلى الدارجة.

(١٦) يدافع بعض اللغويين عن هذه اللهجة ويقارنونها بلهجة مدينة باريس التي أعطت اللغة الفرنسية كما هي اليوم. ويغيب عن هؤلاء، ومنهم بعض أصدقائنا، أن لهجة باريس عملت على تهميش وقتل العاميات الفرنسة الأخرى، ووصلت إلى ما صلت إليه بعد زمن طويل، ثم بدأت في الانحطاط بسبب النقص من عدد متكلميها ومن عالميتها. ويمكننا في المغرب وفي كل العالم العربي أن نترك عامياتنا كما هي ونبني حضارة بلغتنا الفصيحة التي بلغت من النضج ما بلغت، والتي تزداد عالميتها يوما بعد يوم. وأذكر من هؤلاء الأصدقاء الدكتور عبد الله شكيري الذي نشر بمعيّة آخرين، قاموسا عن هذه العامية. وقد طَبع هذا القاموسَ مركزُ تنمية زاكورة الذي يشرف عليه نور الدين عيوش. ونحن نشجع هذا العمل من الناحية الأكاديمية لاغير، وبودّنا نشر قواميس أخرى عن باقي اللهجات لمعرفتها أولا، وللبحث عن العلاقات اللسانية فيما بينها من ناحية، وفيما بينها وبين الفصحى من ناحية أخرى (أمغرفاوي، خ. شكير،ع. مبرور، ع. ٢٠١٧).

(١٧) يقول الدكتور الفاسي الفهري (الفاسي الفهري، ٢٠١٣/أ): "لقد تكوّنت لوبيات وسلوكات لغوية تدعم الفرنسية كلغة للتواصل وللثقافة، ولطلب الشغل، وللارتقاء في السلّم الاجتماعي، ..."

(١٨) بعد أحداث الدار البيضاء الإرهابية، في شهر مايو ٢٠٠٣ ، ربط بعض الجامعيين الفرنسيين بين اللغة العربية والإرهاب، وتبعهم في ذلك بعض المتطرفين المغاربة (الفاسي الفهري ٢٠١٣/أ، ص ١٤٢). والمشكل الذي يطرحه هذا الحدث هو أن الحكومة، أو بعض الحكومات بشكل عام، تسمع لهؤلاء وتعتقد أن فتح الباب أمام اللغة العربية يعني فتح الباب أمام الإرهاب، وهذا خطأ فادح،

لأن معرفة اللغة العربية بشكل جيد أمر يحمي صاحبها، في الحقيقة، من الوقوع في فخ الإرهاب. فكثير من الشباب الأوربي المسلم الذي وقع في فخ الإرهاب شباب يجهل اللغة العربية مع الأسف الشديد، ولو أنه تعلّمها لرجع إلى النصوص وقرأها بنفسه دون أن يسمع الفتوى من الجهات التي تتربص بهؤلاء الشباب لضرب الإسلام. وقد طرحنا في البحث العلمي الذي كتبناه عن هذا الموضوع (أبوالصواب، ٢٠١٥) أن انتشار الإسلام دون اللغة العربية أمر قد يولّد طبعا مسلمين متطرفين ومخالفين لواقع النصوص الإسلامية المكتوبة باللغة اللعربية. ففي مصلحة العالم كله، أن تواكب اللغة العربية انتشار الإسلام في العالم، حتى لدى مسلمي أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية. وهذا يحتاج إلى توسيع مجالات تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها. وقد دافعنا كذلك في هذا المقال عن فرضية تدريس الإسلام للمسلمين الأوربيين والأمريكيين بشكل رسمي، ليعرف المسلمون هناك دينهم بعيدا عن جهات تدرّسهم الإسلام كما تريد ولأهداف لا تخدم الإسلام والمسلمين.

## مراجع عربية


أبوالصواب إبراهيم، ٢٠١٥. المسألة الثقافية في برامج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية. منشور في كتاب المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية، ص ٢١٣-٢٣٠. من منشورات المجلس الدولي للغة العربية، دبي، الأمارات العربية المتحدة.

أبوالصواب إبراهيم، قيساني إلهام، ٢٠١٨. التربية والتعليم في عالم متغير: المغرب ونماذج عالمية رائدة. دراسة علمية في طور التحضير، ستنشر قريبا.

بلحبيب رشيد، ٢٠١١. اللغة العربية وسيلة للتنمية. في: اللغة العربية والتنمية البشرية - الواقع والرهانات، الجزء الأول. منشرات مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، وجدة، المملكة المغربية.

ابن خلدون عبد الرحمان أبو زيد، توفي ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م. المقدمة: ديوان المتبدإ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

بنمسعود عبد المجيد، ٢٠٠٠. منظومتنا التربوية إلى أين ؟ أضواء نقدية وأفق البديل. سلسلة حوار رقم ٣٧، منشورات الفرقان، دار قرطبة، وجدة، المغرب.

بوعلي فؤاد، ٢٠١٥. مقاربات في المسألة اللغوية بالمغرب. طبع بمساهمة وزارة الثقافة، المملكة المغربية. مطبعة طوب بريس – الرباط، المغرب.

بونيت عز الدين، ٢٠١٣. من أجل جبهة لغوية وطنية للغة العلم. جريدة الاتحاد الاشتراكي، العدد٥٦١, ١٠، الأربعاء ٢٧ نونبر ٢٠١٣.

تزلي عبد الله، ٢٠٠٧. منطقة الأطلس المتوسط والسياسة الاستعمارية الفرنسية. ضمن مقالات الندوة العلمية عن "التعليم والحركة الوطنية بالأطلس المتوسط خلال فترة الحماية" أزرو ٢٤ ماي ٢٠٠٧. منشورات المندبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير. مطبعة كانابرانت، المحيط، الرباط.

تمحري عبد الرحيم، ٢٠١٣. شخصية المدرس المغربي: الهوية والتوافق. مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب.

خُلال مصطفى، ٢٠١٣. ضدّ الدارجة في التعليم... ضدّ إفقار الذات المغربية. جريدة الاتحاد الاشتراكي، العدد٥٦١, ١٠، الأربعاء ٢٧ نونبر ٢٠١٣.

عبد العزيز بن عبد الله، بدون تاريخ. تطور الفكر واللغة في المغرب الحديث. دار لسان العرب، فرن الشباك، لبنان.

علال سي ناصر، ٢٠١٤. الردّ على دعوات اعتماد الدارجة في التعليم العمومي. حوار في جريدة الأسبوع الصحفي ص ١٠-١١. العدد ١٢٠٧ / ٧٧٠، الخميس ٠٢ يناير ٢٠١٤.

العلواني طه جابر، ٢٠٠٩. دور سوس في خدمة الثقافة العربية: محمد المختار السوسي نموذجا. منشور في: التراث الإسلامي في سوس. أعمال ندوة التراث الإسلامي في سوس المنعقدة بكلية الآداب، جامعة ابن زهر بأكادير، بتعاون مع المعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطون. منشورات كلية الآداب، جامعة ابن زهر بأكادير. مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء.

العلوي مصطفى، ٢٠١٣. الدعوة إلى الدارجة رسالة يهودية. جريدة الأسبوع الصحفي، العدد ٧٦٧/١٢٠٤، السنة الثامنة والأربعون، ١٢ دجنبر ٢٠١٣.

عيوش نور الدين، ٢٠١٣. اعتماد اللغات الأم في التعليم الأساسي. جريدة الاتحاد الاشتراكي، العدد٥٦١, ١٠، الأربعاء ٢٧ نونبر ٢٠١٣.

الفاسي الفهري عبد القادر، ٢٠١٣/ أ. اللسانيات اللغوية في البلاد العربية. دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان.

الفاسي الفهري عبد القادر، ٢٠١٣/ ب. حوار يهمّ استعمال الدارجة وإدراجها في منظومة التعليم. جريدة الاتحاد الاشتراكي، العدد٥٦١, ١٠، الأربعاء ٢٧ نونبر ٢٠١٣.

الكثيري مصطفى، ٢٠٠٧. كلمة افتتاحية لندوة تاريخ المقاومة وجيش التحرير في الكتاب المدرسي. مكناس ١٦ يناير ٢٠٠٧. منشورات المندبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير. مطبعة كانابرانت، المحيط، الرباط.

كنون عبد الله، ١٩٧٥. النبوغ المغربي في الأدب العربي. مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، لبنان. الطبعة الثالثة.

المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، ٢٠١٥. من أجل مدرسة الإنصاف والجودة والارتقاء. رؤية استراتيجية للإصلاح ٢٠١٥-٢٠٣٠. ملاحق خاصة، المملكة المغربية.

مشروح إبراهيم، ٢٠٠٠. نحو سياسة جهوية للنظام التعليمي بالمغرب. مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب.

مقبول إدريس، ٢٠١١. اللغة العربية من سؤال الهوية إلى رهان التنمية. في: اللغة العربية والتنمية البشرية - الواقع والرهانات، الجزء الأول. منشرات مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، وجدة، المملكة المغربية.

امغرفاوي، خ. شكيري، ع. مبرور، ع، ٢٠١٧. قاموس الدارجة المغربية. مركز تنمية الدارجة زاكورة، المغرب.

المكي المروني، ١٩٩٣. البداغوجية المعاصرة وقضايا التعليم النظامي. منشورات كلية الآداب، جامعة محمد الخامس بالرباط. شركة الهلال العربية للطباعة والنشر.

الناصري أبو العباس أحمد بن خالد السلاوي، توفي ١٣١٥هـ. الاستقصاء لأخبار دول المغرب الاقصى. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. الطبعة الأولى، ٢٠٠٧.

## مراجع فرنسية - إنجليزية

Al Akhawayn University in Ifrane. ٢٠١٩-٢٠١٧. Catalog: Undergraduate and Graduate Programs. Al Akhawayn University in Ifrane. Morocco.

Boukous Ahmed. ٢٠١٢. Revitalisation de la langue Amazighe : Défis. enjeux et stratégies. Institut Royal de la Culture Amazighe. Imprimerie : Top Press. Rabat. Maroc.

Kissani. I. Boudihaj . A. Boussouab. B ; ٢٠١٨. The Choice of Schooling for the Next Moroccan Generation (IJIET). The International Conference on Educational and Information Technology (ICEIT).

Payé. L . ١٩٩٢. Introduction et évolution de l'enseignement moderne au Maroc. Imprimerie Rissalat. Rabat.

Seymour. B. Sarason. ١٩٩٧. How schools might be governed and why? Teachers college press. Columbia University. New York and London.